كلية : التربية الأساسية حديثة

القسم او الفرع : التأريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : م. د. مروان علي مخلف حمد

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المغرب الإسلامي.

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Morocco's lslamic History

اسم المحاضرة الثالثة عشر باللغة العربية : قيام دولة المرابطين.

اسم المحاضرة الثالثة عشر باللغة الإنكليزية : The establishment of the Almorabit state.

قيام دولة المرابطين

يعود المرابطون الى قبائل لمتونة التي هي بطن من بطون قبيلة صنهاجة، التي سكنت بلاد القبلة، منذُ عصور بعيدة قبل الإسلام وتكيفوا لحياة الصحراء، واتخذُ لهم اللثام ميزه لهم حتى سُموا بصنهاجة اللثام، وانتشر الاسلام بين هذه القبائل عن طريق السرايا العسكرية التي ارسلها حكام المغرب الأوائل الى هذه المنطقة، وكذلك عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يمرون عبر هذه البلاد في طريقهم الى السودان، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت هذه القبائل ضعيفة الاسلام متفرقة الكلمة، وافترقت كلمة الملثمين مدة مائة وعشرين عاماً الى ان قام الامير يحيى بن ابراهيم الجدالي، وكان رجلاً مستنيراً خرج من ديار الملثمين لأداء فريضة الحج تاركاً الحكم لأبنه ابراهيم سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، وبعد الانتهاء من الفريضة أرتاد مجلس الفقيه أبي عمرن الفاسي في القيروان، ودار الحديث بين الأمير يحيى الجدالي زعيم الملثمين، والفقيه الفاسي بأن قبائل القبلة بحاجة الى علماء وفقهاء يبصرون الناس بإحكام الشريعة الاسلامية، وتنفيذاً لرغبة الأمير يحيى الجدالي أرسل الشيخ أبو عمران الفاسي الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، وهما من اصل صنهاجي، ودخل عبد الله بن ياسين مع الامير يحيى بن إبراهيم الجدالي بلاد المغرب الأقصى ونال اعجاب أهل الديار، وكان يجب عليه ان يقوم بأمرين وهما:

١- جمع أتباع مخلصين تقع عليهم مهمة تظهير بلاد القبلة من الانحرافات والضلالات.

٢- العمل على توحيد بلاد المغرب الاقصى، من أجل القضاء على عوامل الفرقة والخصام بين الإمارات الصغيرة المتنازعة.

ومن اجل تحقيق هذين الهدفين، رابط عبد الله بن ياسين مع الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي في جزيرة بحوض نهال السنغال سنة (٤٣٣هـ/١٠٤٠م)، بسبعة أشخاص سماهم عبد الله بن ياسين بالمرابطين، وبتوالي الأيام انضم الى هذا الرباط مئات الأشخاص، وازداد اقبال الأهالي للانضمام الى مجموعة المرابطين وبذلك ظهرت بوادر شيوع الأمن والاستقرار فيها، وبذلك أفلح عبد الله بن ياسين وزعماء جدالة بوضع الاسس القوية لنواة قوة المرابطين، التي انقذت المغرب الأقصى من التجزئة والفرقة، وبعد ان كثر انصار عبد الله بن ياسين واستكمال قواته امرهم بالخروج لتحقيق اهدافه وهي توحيد قبيلة صنهاجة، فهاجم قبيلة جدالة، وبعد قال شديد اذعنت للطاعة، واسلمت اسلاماً صحيحاً، ثم اتجه الى قبيلة لمتونة فبايعته على الكتاب والسنة،

وتابع مسيرة نحو مسوفة وأخضعها، وتمكن عبد الله بن ياسين من توحيد فروع قبيلة صنهاجة، وبذلك دخلت كل بلاد الصحراء بالطاعة، وفي سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م)، توفي الامير يحيى بن ابراهيم الجدالي، فأختار عبد الله بن ياسين بعد مشاورة المرابطين، الامير يحيى بن عمر اللمتوني، وفي سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٦م)، قتل الامير يحيى بن عمر اللمتوني في قتالة ضد قبيلة برغواطة، فقدم عبد الله بن ياسين مكانه أخاه الأمير أبا بكر بن عمر اللمتوني وامره بمتابعة الفتح باتجاه الشمال، فغزا بلاد المصامدة والسوس، كما هاجم منطقة الواحات الواقعة في جنوب المغرب وجعل على مقدمة جيشه ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني، فانتصرت جيوش المرابطين على الوثنية واعادت تلك المناطق الى مبادئ الاسلام الصحيحة. وقد تألق يوسف بن تاشفين وخاصة في معركة الواحات التي كان فيها قائداً لمقدمة جيش المرابطين المهاجم.

بعد انتصار ابن تاشفين بمعركة الواحات، تلقى تعليمات بمهاجمة أغمات، وتمكن المرابطون من دخول مدينة أغمات سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، ونظراً لأهمية مدينة أغمات كمدينة متحضرة من جهة، ولقربها من الصحراء من جهة أخرى، فقد اختارها المرابطون عاصمة مؤقتة لهم الى ان تم بناء عاصمتهم الجديدة مراكش سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م)، ودرات معركة عنيفة بين المرابطين وامير برغواطة، اصيب بها عبد الله بن ياسين بجراح بالغة توفي على اثرها سنة (٥٤١هـ/١٠٥٩م)، واختار المرابطون بعد استشهاد عبد الله بن ياسين الامير أبا بكر بن عمر اللمتوني، وواصل متابعة الجهاد ضد برغواطة حتى عادت الى الاسلام، وبعد ان استقام امر الصحراء قضى الأمير أبو بكر بن عمر على الخلاف ودفن الفتنة في مهدها واصلح شؤون السكان، فقام الامير ابو بكر بجمع اشياخ المرابطين من لمتونة وأعيان الدولة، واشهدهم على نفسه بالتخلي ليوسف بن تاشفين على الامارة، وقد علل الامير هذا التنازل لأبن عمه يوسف لدينة، وفضلة، وشجاعته، وعدله، وورعه وسداد رايه، واوصاه بعد ذلك بالعدل والاصلاح. وانصرف الامير ابو بكر الى الصحراء وبقي يجاهد الكفار حتى استشهد سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م).

وهكذا اصبح يوسف بن تاشفين اميراً على المغرب وبصفة رسمية، وتمكن من فتح عدد من المدن حتى وصل جهادة الى الأندلس ضد الممالك الاسبانية، اما جهاد المرابطين في السودان فقد بقى مستمراً حتى بعد استشهاد ابو بكر اللمتوني، حتى اعتنق الأمراء الغانيون الاسلام، ودخلوا تحت سيادة المرابطين واخذوا على عاتقهم نشر الاسلام بحملات جهادية في تلك المناطق نيابة عن المرابطين وكان ذلك يتم بأمر ومباركة الخلافة العباسية، وبذلك أمتد نفوذ المرابطين الى بلاد غانا وسيطروا على مناجم الذهب بالإضافة الى مكامن الملح في الصحراء، كما حرروا تجارتهم من الضرائب التي كانت تفرض عليهم، واصبح

للمرابطين دوراً كبيراً في نشر الدين الاسلامي، واللغة العربية في منطقة السودان الغربي، كما عملوا على تأمين طرق المواصلات، وانتشرت بينهم العادات والتقاليد العربية منها لبس العمامة، بالإضافة الى ادخال طائفة من جند السودان تسمى (فرقة الحشم) ضمن الجيش المرابطي، التي كان لها الدور المشرف في الحروب الجهادية بالأندلس.

ومن ابرز الاعمال العمرانية التي قام بها يوسف بت تاشفين هي بناء (مدينة مراكش) التي تميزت بموقعها على طريق القوافل التجارية المقبلة من الصحراء، واسس مسجدها الجامع، الا انه لم يؤسس سورها وقد سورها فيما بعد ابنه علي بن يوسف وجلب اليها المياه بحفر الابار وبنيت الدور والمنشآت العمرانية، وبقيت مدينة مراكش قاعدة عسكرية لقوات المرابطين حتى دخلتها قوات الموحدين.

اما علاقة المرابطين بالخلافة العباسية فأنها كانت علاقة وطيده، فلم يتلقب يوسف بن تاشفين بألقاب الخلافة، كما انه رفض لقب أمير المؤمنين لأنه خلافي، لذلك اعلن التبعية للخلافة العباسية واستخدم المرابطين شعار العباسيين الاسود في اعلامهم، ودعا يوسف بن تاشفين للعباسيين على المنابر وتلقب بأمير المسلمين وناصر الدين، كما انه نقش اسمه على السكة الى جانب اسم الخليفة العباسي.

اما عن علاقة المرابطين بالأندلس ونصرتهم للعرب، فقد تميز عصر دويلات الطوائف في الاندلس بالحرب المستمرة بين ملوكها، فكل منهم يود ان يتسع ملكه ويمدد سلطانه على حساب جيرانه من الملوك كل ما أتيحت له الفرصة، بالإضافة الى تدخل الفونسو السادس ملك قشتالة في شؤون دويلات الطوائف لإسقاط هذه الدويلات، لهذا كانت الخطوة الأولى التي اتخذها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين في هذا المجال هي العبور الى الاندلس من اجل نصرة اهل الاندلس، ووقوع معركة الزلاقة يوم الجمعة ١٢رجب سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، انهزمت بها جيوش الاسبان والأوربيين، وبعد معركة الزلاقة رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب بعد ترك حاميات مرابطية في الاندلس تساعد القوات الاندلسية في التصدي لهجمات الاسبان. الا ان سيطرة الفونسو السادس على طليطلة واتخاذ حصناً منيعاً شحنة بالمقاتلين والسلاح من اجل الاغارة على المناطق المجاورة ويدعى هذا الحصن بـ (حصن أليط) الذي اثار الرعب بالمنطقة وبعد عجز القوات الاندلسية من صد قوات هذا الحصن توالت كتبهم ورسلهم الى يوسف بن تاشفين في طلب العون والإمداد، فعبر الى الاندلس في ربيع الأول سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م)، وسار صوب حصن أليط وشدد عليه الحصار لمدة اربعة اشهر، وبعد استعانة الإسبان المحاصرون في الحصن بملكهم الفانسو السادس الذي انجدهم مسرعاً وانسحب الى طليطلة لأنه كان يخشى ان تتكرر عليه هزيمة الزلاقة، وبهذا تخلصت الاندلس من

خطر حصن البيط دون الدخول في معركة حاسمة، ورجع يوسف بن تاشفين الى المغرب بعد ترك حاميات مرابطية بالاندلس تتصدى لهجمات الاسبان وبخاصة في المشرق. وتبين ليوسف بن تاشفين مدى الخلافات العميقة بين ملوك الطوائف التي توحدها ظاهرياً مخاطر الاسبان، لكن سرعان ما تعود تلك الخلافات من جديد، بالإضافة الى التعاون السري بين بعض ملوك الطوائف والفونسو السادس، لذلك عزز امير المرابطين موقفة من ناحيتين الأولى: الحصول على فتاوى فقهاء المشرق الإسلامي، وأرسال السفارات من اجل ذلك، الثانية: الحصول على تأييد فقهاء الأندلس وعامة الناس الذين أكثروا من شكواهم اليه بعد العبور الثاني، وكشفوا له عن سوء ومكر ملوك الطوائف وحرضوه على خلعهم. وعبر يوسف بن تاشفين الى الاندلس وسار صوب مدينة طليطلة عاصمة مملكة قشتالة وشدد الحصار عليها لكي يقطع اي اتصال بين الاسبان وملوك الطوائف، وليضع بداية النهاية لأمراء الطوائف، اذ كان للقوات المرابطية دور جهادي كبير في صد هجمات القوات القشتالية، وكانت تتنزع في اغلب الاحيان النصر انتزاعاً من القوات القشتالية، واحياناً تتعرض قوات المرابطين لخسائر كبيرة بالأنفس والأموال وان ما عرقل مساعي المرابطين الجهادية هو نشاط الموحدين في عدوة المغرب وبداية سيطرتهم على اهم المدن والحصون المرابطية، وكذلك بسبب الثورات المتعاقبة التي قامت في بلد الاندلس التي تهدف الى تخليص الاندلس من الحكم المرابطي. وتميز عهد أمير المرابطين يوسف بن تاشفين بتثبيت اركان دولة المرابطين في المغرب الاقصى، ومن ثم عبور المرابطين الى الاندلس لنجدتها وتحويلها الى ولاية مرابطية، وبالتالي ان قوات المرابطين قد فقدت الكثير من خيرة قادتها الاكفاء في عهد الامير يوسف بن تاشفين، وتميز عهد امير المرابطين علي بن يوسف والامراء الذين حكموا بعده بالاضطراب وقيام ثورات اهل الاندلس ضد المرابطين، لهذا تظافرت الاسباب الى سقوط دولة المرابطين في المغرب والاندلس الى الأسباب التالية:

١- وجود الملك الاسباني القوي الذي يقود المقاومة ضد القوات المرابطية الفونسو السادس ملك قشتالة، والفونسو الاول المحارب ملك أرغون، والفونسو السابع ملك قشتالة.

٢- لقد تميزت المعارك المتبادلة بين القوات المرابطية والقوات الاسبانية بعنفها وقوتها، وقد عزز كل جانب معاركة بسمات عسكرية عالية تزعمها رجال الدين من الطرفين وشاركوا في بعضها.

٣- لم يستطع الجيش المرابطي استرجاع أية مدينة اندلسية مهمة سيطر عليها الاسبان خلال مراحل الصراع ابتداءً من طليطلة ومروراً بغربي الاندلس والى منطقة الثغر الاعلى، على الرغم من الروح الحربية العالية التي تمتع بها الجيش المرابطي بالأندلس.

٤- اثقلت الحروب كاهل القوات المرابطية في الأندلس، وفقدت خيرة رجالها وقادتها مما اضعف هذه القوات، كذلك انشغالها في قمع ثورات أهل الاندلس، شل حركتها مما شجع مراء الاسبان على مواصلة التوسع والسيطرة تباعاً على اهم المدن والقواعد الأندلسية.

٥- ازدياد نفوذ سلطة الفقهاء والقضاة والأدباء الذي تمتعوا به في ظل دولة المرابطين حتى تركزت فيهم عناصر الزعامة فاستغلوا ضعف سلطان المرابطين فتمردوا على السلطة.

المصدر: تاريخ المغرب العربي، عبد الواحد ذنون طه، خليل ابراهيم السامرائي، ناطق صالح مطلوب.